ابراهيم ناجي و تأثّره بغزل الشريف الرضي

أ.م.د. خيرية عجرش[١]
احمد خنيفي[٢]

Abstract

This article is a research about Ebrahim naji,s sonnet who is a contemporary romantic Arab poet. This article dealt with the impression of sharif razi, the great Abbassi,s centuries Arab poet on ebrahim Naji. There are many similarities in their sonnets wich can be a sign of impression of Sharif Razi on Ebrahim. For example one of this similarities is using a common poetry words and emphasis on purity and scatting from sensational sonnets and nostalgia and high possimitic. The sonnet of both of them is sad. Although their sonnet is simple but it is a truthful, emotional and technical.

الملخص:

درسنا في هذه المقالة غزل الدكتور ابراهيم ناجي الشاعر الرومانسي المعاصر و بينا تأثرهُ بالشريف الرضي الذي كان له تأثيرٌ كبير علي شعر ابراهيم ناجي إذ لا اظنُّ أنّ شاعراً اثّرَ في شعره كما اثر هو. وجدنا اشتراكات كثيرة بين شعرهما كلها تدل علي تأثّر ناجي بشعر الرضي، و اتينا بنماذج كثيرة من هذه الاشتراكات، منها القاموس الشعري المشترك عند كليهما، و العفة و الابتعاد عن الحسيّة، و الهجرة و الاغتراب، و التشاؤم الشديد. كما يشتركان في غزلهما بالعاطفة الحزينة، و السهولة و البساطة في التعبير و الصدق الفنّي في العاطفة.

الكلمات الدليلية: ابراهيم ناجي، الشريف الرضي، الهجرة و الاغتراب، القاموس الشعري

---

١ - جامعة شهيد شمران – اهواز
٢ - طالب دكتوراه في فرع اللغة العربية بجامعة الفردوسي مشهد

http://abu.edu.iq

١ـ المقدمة

ندرس في هذه المقالة شعرابراهيم ناجي بصورةٍ مختصرة حتّي نريٍ كيف تأثّر ببعض الشعراء و كيف ظهر اثرُ ذلك في شعره. فلا يُوجَدُ شاعر لم يتأثر بشعرِ شعراء آخرين قليلاً او كثيراً. و من لم تكن له مطالعات ادبيّة لا يستطيع ان يكون اديباً او شاعراً و من ثمّ يظهر اثر ذلك الشاعر او الشعراء الذينَ قرأ لهم و تأثر بهم، في شعره و ربّما لا ينتبه الشاعر الي تلك الملامح التي تدلّ علي تأثّره بالشاعر او الشعراء الذين تأثّر بهم و انّما ذلك من شأن النقّاد ان يكشفوا عنه. و كان القدماءُ يعتقدونَ بالمطالعة الادبيّة و اثرها الفعّال في تفتّح قريحة الشاعر و كانوا يعبّرون عنها مثلاً بقولهم: لا تُصْقَلُ نفسُ المتأدّبِ إلّا أنْ حفظ هاشميات الكميت و خمريّات ابي نؤاس و زهديّات ابي العتاهيّة و تشبيهات ابن المعتزّ وحجازيات الشريف الرضيّ.[٣]

كذلك يعتقد المعاصرون ايضاً باهميّة المطالعات الادبيّة في تكوين شخصيّة الكاتب و الشاعر الادبيّة. مثلاً الجواهريّ يعتقد« ان اديباً لم يحفظ البحتري و ابانوس و ابن الرومي و المعرّي و ابا تمّام و المتنبّي، او لم يدرس الجاحظ و الاخطل و ابن قتيبة، و ابن الاثير و ابا الفرج و دعبلاً و القرآن و نهج البلاغة لا يمكن ان يكون شاعراً و لا كاتباً ابداً».[٤]

و قد أدمن ابراهيم ناجي علي قرآءة شعر الشريف الرضي في سنّ مبكر من حياته أثّرت علي مسيرته الفنّية و ظهر أثرها في شعره، و هذا ما تحاول هذه المقالة أن تتطرّق اليه.

٢ـ خلفية الموضوع:

لم يتطرّق احد إلي هذا الموضوع - حسب علمنا – من قبل و لم يدرس أحد من النقاد أثر الشريف الرضي وشعره علي غزل ابراهيم ناجي وشعره إلا أنّه أشار الكثير منهم إلي حبّ ابراهيم ناجي لشعر الرضي وولعه به ممّا أدّي به إلي أن يحفظ ديوانه من الغلاف الي الغلاف. وقد أشار الدكتور شوقي ضيف في كتابه « الادب العربي المعاصر في مصر » إلي أنّ الكثير من الشعراء المعاصرين تأثروا بغزل الشريف الرضي لكن دون أن يشرح هذا الامر أو يأتي بنماذج له من الشعرالمعاصر، ولم يبّن ذلك للقارئ بالتطبيق بل اكتفي بهذا الإدعاء.إذاً الكشف عن مدي صحة هذا الكلام وتبيينه بالنماذج وتطبيق بعضها مع البعض حثّنا إلي أن نقوم بهذه الدراسة.

اذا تصفّحنا ديوان ابراهيم ناجي فانّا قد نري بصمات تأثّره بمهيار و ابن الفارض و الشعراء العذريين في العصر الامويّ كجميل و المجنون و قيس بن ذريح كما تأثّر الرضيّ و حفظ ديوانه بأكمله[٥]و يبدو انّه لم يتأثّر باحدٍ كما تأثّر من الغربيين، بـ«ديكنز» و « جون كيتس».[٦]

و تأثّر بمدرسة «هازلت» في النقد كما تأثّر بخليل مطران، و احمد شوقي من المعاصرين العرب.

---

٣ - (عابدين ١٩٩٩ : ٢٥٧)
٤ - (شكيب انصاري، ١٣٨٤ه.ش: ١٢١- ١٢٢)
٥ - (رضوان، ٢٠٠٤: ٥٥)
٦ - (عبد المنعم الخفاجي، ١٩٩٢: ١٠٨)

http://abu.edu.iq

ابراهيم ناجي و الشريف الرضي

لعلّ وجودَ هذا الاشتراك الكبير، بحجمه الهائل يستطيع ان يقوم كدليلٍ علي ما كان لشعر الشريف الرضي و غزله العاطفي الجميل، من أثر علي ابراهيم ناجي و شعره فقد احبَّهُ ناجي و ادمن علي قراءة شعره، و حَفِظَ ديوانَهُ بأكمله. وهذه هي اهم ما وجدتها من مشتركات بين شعرهما.

١ـ القاموس الشعري المتقارب

لكلّ شاعرٍ قاموسه الشعريّ الخاصّ و فيه من الكلمات ما يكرّرها الشاعرُ فتصبح هذه الكلمات لها دلالة خاصّة عنده.(٧)

اذا نحن تاملّنا شعر الشريف الرضيّ و ابراهيم ناجي و خاصّة الغزليّ منه، سنجدُ كان لهما قاموسٌ شعريٌ متقارب.

انّهما يستخدمان كلماتٍ كـ«القلب و الفؤاد و الدجي و الظلام و الظمأ و الدهر، و الوكر، و النجم، و العين» و غير ذلك من المفردات بصورةٍ كثيرة. نحن هنا نركّز علي بعض هذه المفردات و ناتي بنماذجٍ منها نذكر اولاً كلمة القلب عند كليهما و كيف انهما يُكثران استخدام هذه الكلمة. يقول الرضيّ:

يا ريم ذا الاجرع يرعي به ... ثمارَ قلبي بدلَ الرطبِ
هناك شربُ الدمعِ مِن ناظري ... يا مشرقي بالبارد العذبِ
انت علي البعد همومي اذا ... غبتَ و اشجاني علي القربِ
لا اتبع القلبَ الي غيركم ... عيني لكم عينٌ علي قلبي(٨)

فنري انه استخدمها ثلاثَ مرّاتٍ في هذه المقطوعة القصيرة و كذلك قوله:

ساصبرُ انّ الصبر مرٌ صدوره ... ألا ربّما لذّت لقلبي عواقبه
ولابدّ ان نعطي علي البعد دولةً ... فنامنَ بيناً او رقيباً نراقبُه
فلا قلبَ لي الّا و انت حجابُه ... ولا سرّ لي الّا و ذكرك حاجبُه(٩)

فاستخدمت مرّتين هنا و كذلك الأمر في هذه الأبيات.

اذا تلفّتُ في اطلالها ابتدرت ... للعين و القلب امواهٌ و نيرانُ
كم بقلبي اداويه و يقرفه ... طول اذكاري لمن لي منه نسيانُ
لا للوائم اقصارٌ بلائمةٍ ... من العميد و لا للقلب سلوانُ(١٠)

كذا الامر نجده في ديوان ابراهيم ناجي فهو يكثر استخدام هذه الكلمة.

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيح ... و انا اهتف يا قلب اتّئد(١١)

او قوله:

كالقلب ان ضاق و اكتأب ... تخفّف الذّكريات عنه(١٢)

او قوله:

---

٧ - (محمد عويضة، ١٩٩٣: ٢٠)
٨ - (الرضي، ١٩٩٩: ٢٤٨)
٩ - (نفسه، ج ٢: ٢٥٣)
١٠ - (مبارك، ١٦٢)
١١ - (ناجي، ١٩٨٨: ١٣)
١٢ - (نفسه: ٤١)

http://abu.edu.iq

و حرقتُ قلبي من سنا كَ علي جمال يضطرم[١٣]

و قد يتخذان من القلب مخاطباً لهما يتكلّمان عنه مثل قول الشريف الرضيّ

يا قلبُ ليتك حيَن لم تدعِ الهوي علّقتَ مَن يهواك مثل هواكا[١٤]

او قوله:

يا قلب صبراً فانّ الصبر منزلةٌ بعد الغدّ اليها يرجع الغالي[١٥]

كذلك ناجي يفعل هذا الامر و يتّخذ من قلبه مخاطباً له فيقول مثلاً:

يا فؤادي رحم اللهُ الهوي كانَ صرحاً مِن خيالٍ فهوي[١٦]

او قوله:

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيح و انا اهتف يا قلبُ اتّئد[١٧]

فقد يكون السبب في مخاطبة القلب و اتّخاذه كخليلٍ لهما، راجعاً الىٰ حسّ الغربة و الوحدة عند كليهما. فانهما عند ساعة العسرة و الحزن لا يجدان من يخاطبانه. و قد يكون ذلك لتفكيرهما بأنّ كلّ ما وقع علي رأس كلّ منهما، من المصائب و الآلام آتياً من ذلك القلب الذي يخاطبُ بهما بوقوعه في شَرَكِ الحب الذي جرّ عليهما كلَّ هذه الآلام. فتكون هذه المخاطَبَةُ من باب العتب او التأنيب.

كذلك انّهما يستخدمان كلمة الليل و ما يدلّ عليها كالظلام و الدجي، كثيراً في شعرهما، فناتي نحن هنا ببعض النماذج منها قول الشريف الرضيّ:

اقام الليالي عن بقايا فريستي علي نعمٍ ما تنقضي و عطاءِ[١٨]

و قوله:

و رواح الحجيج ليلة جمعٍ و بجمعٍ مجامع الاهواء[١٩]

و قوله:

و معاداة الرجال علي الليالي اطيقُ، و لا مداراة النساء[٢٠]

و قوله:

و لَربّ ليل قد طويت رداءَهُ و عليٰ الإكام من الظلام جلابيبُ
و ليلٍ ترامي بالعبير نسيمُه و الترب تحفزُه صباً و جنائبُ[٢١]

فاستخدام الرضيّ لهذه الكلمة و ما يدلُّ عليها كثيرٌ في شعره. و لو أردنا أن نأتي بكل تلك النماذج، كان علينا أن نأتي بجزءٍ غير قليل من ديوانه الضخم فاكتفينا بهذه النماذج القليلة جداً.

كذلك نجد هذه الكلمة في شعر ناجي فانّها تُستَخدَمُ بكثرةٍ مثل قوله:

---

١٣ - (نفسه: ٤٦)
١٤ - (الرضي، ١٩٩٩ ج ٢: ٩٤)
١٥ - (السيد جاسم، ١٩٩٩: ٤٣)
١٦ - (ناجي، ١٩٨٨: ١٣١)
١٧ - (نفسه: ١٣)
١٨ - (الرضي، ١٤٠٦، ج ١: ٥٥)
١٩ - (نفسه: ٨٣)
٢٠ - (نفسه: ٨٨)
٢١ - (نفسه: ١٤٣)

http://abu.edu.iq

كم في الدجي آهةٌ تطولُ تسري الي اُذنه وشعرْ
او يفهم النجم ما نـقولُ او يفهم الليلُ ما نسرْ[٢٢]

و قوله:
من شاطئٍ لشواطئٍ جددِ يرمي بنا ليلٌ مِن الابدِ[٢٣]

و قوله:
ايّ الليالي العاتيات سهرتها في ايّ آلامٍ و ايّ كفاحِ[٢٤]

او قوله:
كم هدأ اليلُ و راق الكري الّا اخا سهدٍ يغنّي شجاه[٢٥]

او قوله:
فانّي اذا جنّ الظلامُ و عاودني هواكِ ابديتُ الذي لم اكن ابدي[٢٦]

كذلك نجد كلمة الظمأ و مشتقّاتها تُستَخدَمُ بكثرةٍ. يقول الرضيّ مثلاً:
قال لي صاحبي غداة التقَينا نتشاكي حرّ القلوب الظماء[٢٧]

او قوله:
و تركتني ظمآن اشرب غلّتي اسفاً علي ذلك اللمي الممنوع[٢٨]

او كقوله:
و لله قلبٌ لا يبلّ غليلُه وصالٌ، و لا يلهبُهُ عن خلّهِ وعدُ[٢٩]

كذلك الامر في ديوان ابراهيم ناجي فيقول ناجي:
ظمأٌ عليٰ ظمإٍ عليٰ ظمإٍ و مواردٌ كثر و لم اردِ[٣٠]

و قوله
اقبل بموكبك الاغرّ ما اظمأ الابصار لك[٣١]

و قوله:
السراب الخئون و الصحراء و الحياري المشرّدونَ الظماء[٣٢]

فنجد في هذه الابيات الثلاثة الاخيرة مشتقّات كلمة الظمأ تكررّت ثلاث مرّاتٍ. نكتفي بهذا القدر من النماذج و البحث عن القاموس الشعر عند كلا الشاعرين.

---

٢٢ - (نفسه: ٤١)
٢٣ - (نفسه: ٤٦)
٢٤ - (نفسه: ٨٤)
٢٥ - (نفسه: ١٢٣)
٢٦ - (نفسه: ١٢٢)
٢٧ - (الرضي، ج ١: ٨٣)
٢٨ - (نفسه: ٦٥٤)
٢٩ - (الرضي، ١٤٠٦ج ١: ٣٨٥)
٣٠ - (ناجي، ١٩٨٨: ٣١)
٣١ - (نفسه: ٨٧)
٣٢ - (نفسه: ١٦١)

http://abu.edu.iq

٢ـ الإغتراب و التشكّي من الدهر

من يقرأ شعر الشريف الرضيّ و ابراهيم ناجي يَرَ انّهما يشكيان من الدهر و الحظّ و يريان للّدهراللّيالي قدرةً في التحكّم بمصيرهما فاكثرا من تشكّي الدهر الرومانسيّونَ كانوا يُكثرونَ من هذا التشكّي فانّهم لم يُكونوا يُحبّون ان يُلقوا بلومهم الي الحبيب اثر هجره فكانوا يتّهمون الدهر و الحظّ بدل ان يتّهموا الحبيب فظهر هذا في شعر ناجي و في شعر الشريف الرضيّ قبل كلّ الرومانسيّينَ بقرونٍ في الادب العربيّ. فيقول الشريفِ الرضيّ:

يقولونَ ماشِ الدهر مِن حيث ما مشي ... فكيف بماشٍ يستقيم و اظلعُ
و ما واثقٌ بالدّهر الّا كراقدٍ ... علي فصل ثوب الظّلّ و الظلّ يسرعُ
و قالوا تعلّل انّما العيشُ نومةٌ ... يُقضّي و يمضي طارقَ الهمّ اجمعُ
و لو كان نوماً ساكناً لحمدتُهُ ... ولكنه نومٌ مروع مفزّعُ[٣٣]

و قوله:

شربنا من الايام كاساً مريرةً ... تُدارُ بايدٍ و لا نردّ شرابها[٣٤]

او كقوله:

ما الذنبُ للمزنِ جازَتْني مواطرُهُ ... وانّما الذنب للارزاقِ و القسمِ[٣٥]

فالوثوق بالدهر و الدنيا عنده كالوثوق بالسراب و الظلّ اللذين سرعان ما يضمحلّا. و يري وقع سهام الدهر عصيباً إنْ هي اصابت و لا ريب عنده من عدواء الدهر فقد تجتازه المزن و السحب الماطرة لسوء حظّه و قسمته.

و لا ينتهي الامرُ عند الشريف الرضيّ بهذا التشكّي و التشاؤم بل يصل به الامرُ الي الاغتراب فلا يري احداً في الوجود يستطيع ان يُحسنَ لَهُ الرأي و الودّ و يري انّ اكثر الناس ليس لهم عهدٌ و حتّي اقرب اصدقائك يحمل بين اضلعه لك الحقد.

لايّ حبيبٍ يحسن الرأيُ و الودُّ ... و اكثر هذا الناس ليس له عهدُ
اكلّ قريبٍ لي بعيدٌ بودّهِ ... و كلّ صديقٍ بين اضلعه حقدُ[٣٦]

و يري انّ الاصدقاء و المحبّون تكثر إنْ كَثُرَ مالُكَ و إلّا فليس لكَ منهم ودٌّ. و الايامَ كالحةً غضاباً.

قلّ الصحابُ فإن ظَفَرْ ... ت بنعمةٍ كثُرَ الصحابُ
مَن له به سمحاً اذا صفر ... ت من القوم الوطابُ
مَن لي به يا دهرُ ... و الايام كالحةً غضابُ[٣٧]

و يشكو الحظّ و صدوده عنه.

و مِن عجبٍ صدود الحظّ عنّا ... الي المتعمّمينَ علي الخزايا
اسفٌ بمن يطيرُ الي المعالي ... و طار بمن يسفّ الي الدنايا[٣٨]

---

٣٣ - (الرضي ج ١: ٦٤٤)
٣٤ - (نفسه: ١٢٤)
٣٥ - (السيد جاسم، ٣٣: ١٩٩٩)
٣٦ - (نفس المصدر: ٧٩)
٣٧ - (مبارك، ج ٤: ٢- ٥)
٣٨ - (السيد جاسم، ١٩٩٩: ٣٣)

http://abu.edu.iq

و اذا قرأنا شعر الشريف الرضيّ نجده مملؤاً بالاغتراب و لا يمكن قصر الاغتراب علي شروط الموضوعيّة من حيث كونه تقريباً سياسياً و اجتماعيّاً و اقتصادياً اذ انّ العوامل الذاتيّة للاغتراب تشكّل اساساً قويّاً لفعاليّة الثروة و المؤثرات الموضوعيّة. كما انّ شخصية الشريف الرضيّ لعبت دوراً كبيراً في اغترابه الماساويّ.(٣٩)

فهو سقيٰ شعرَهُ بالاغتراب العميق المتجذّر في النفس فكان اهمّ ما جلب علي الشريف الرضيّ تلك المرارةَ و الاغتراب هي حادثةُ كربلاء.(٤٠)

و سجن ابيه عندما كان في العاشرة من عمره و مصادرة جميع امواله علي يد عضد الدولة. و اذا نظرنا الي ديوان ناجي فسنجده مليئاً بمثل هذا الاغتراب. و يعود ذلك الي شخصيّته و الي حياته الشخصيّة اذ كان لفشله في حبّه، الدور البارز لهذا الحزن و التشاؤم و حسّ الغربة كما قد يكون حصيلةً لزواج ابويه بزيجة القربي و هي بنون معوّقة و ما كان لها من أثر حزين في حياته و شعره.

يا سجين الحياة اين الفرارُ — أوصد الليل بابه و النهارُ
فلمن لفتةٌ و فيم ارتقابُ — ليس بعد الذي انتظرت انتظارُ
و التعلّات من هويٰ و شباب — قصّة مُسدَلٌ عليها الستارُ
ماالذي يبتغي العليلُ المسجّي — قدتولّي العوّادُ و السمّارُ
طال ليلُ الغريب و امتنع الغمـ — ـض و في المضجع الغضا و النارُ(٤١)

كما في قوله:

عشقتُ حتّي اري خمائل حبّي — تتهاوي كشامخٍ ينهارُ
ما انتفاع الفتي بموحش عيشٍ — بقِيتْ كأسُه و طاح العقارُ
و بقاء البساط بعد النادمي — كأس سمٍّ بها يدور البوارُ
ما انتفاعي و تلك قافلة العيـ — ـش و في ركبها اللظي و الدمارُ
الدمار الرهيب و العدم الشا — مِل و اللفح و الضّني و الاوارُ(٤٢)

و القارئ لشعر ناجي يفهم شدّة اغترابه دون ايّ عناءٍ لبحثٍ او تنقيب و ليس لفهم هذا الإكتئاب حاجةٌ الي اي فطنةٍ و ذكاء فهو يعتبر في شعره، الحياةَ سجناً ليس منه فرار. تضيق الدنيا به و يوصد الليلُ و النهار ابوابهما في وجهه. و تولّي العوّادِ و السمّار هو رمزٌ علي شدّة اليأس عنده. كما يتساءلُ بصراحة ما انتفاع الفتي بالعيشِ الموحِشِ و قد تولّتْ قافلتُهُ و في ركبها اللظي و الدمار؟ و اي دمار هذا الذي يتكلم عنه؟ دمار رهيبٌ و عدمٌ شامل و لفحٌ و ضنيٌ و أوار. هذه هي ملخّص نظرة سطحيّة الي هاتين المقطوعتينِ اللتينِ قدّمناهما قبل هذا. فما بالك بما في غيرها من المقطوعات و القصائد من اغترابٍ و تشاؤم.

و كذلك قوله:

وطني انتِ و لكنّي طريد — ابديّ النفي في عالم بؤسي
فاذا عدتُ فللنجوي اعود — ثمّ امضي بعدما أفرغ كاسي(٤٣)

---

٣٩ -) نفس المصدر: ٩٣)
٤٠ - (نفسه: ١٤)
٤١ - (ناجي، ١٩٨٨: ١٦٦)
٤٢ - (نفسه: ١٦٧)
٤٣ - (نفسه: ١٥)

http://abu.edu.iq

و ايضاً قوله:

داوي ناري و التياعي و تمهّلْ في وداعي
يا حبيب العمر هب لي بعض لحظاتٍ سراعِ(٤٤)

و ليت الأمرَ ينتهي بذمّ الماضي و الحزن عليه لكنه لا يريٰ املاً في المستقبل فييأس من نفسه و من مستقبله.ديوان الدكتور ابراهيم ناجي ملئٌ بمثل هذه الابيات و هذه المفاهيم كما نراه يشكو الدهر و الليالي.

طاطاتُ للبين المشتّت هامتي و خفضتُ للقدر المغير جناحي(٤٥)

و لا يبقيٰ له أملٌ أمام البين الذي شتّت هامتَهُ فقد بان عنه حبيبُهُ و لم يرَ غير الإستسلام للقدر و الرضوخ لإرادته.

والدهر يقذفُ بالمنايا دفّقاً فمضيتُ في متدفّق التيّارِ(٤٦)

و قوله:

آه مما صَنَعَ الدهرُ بنا و هذا الطلل العابس انت(٤٧)

فهو لا طاقة له بهذه المنايا المتدفقّة من جانب الدهر. و هو و إن مضيٰ في متدفقّ التيّار، لا يستطيع أن يقاومَ هذا التيّار فيبدأ بالتشكّي من الدهر و يجرّ الآهات ممّا صنع به **ويشتكي الحظّ بقوله:**

متي يرقّ الحظّ يا قاسي و يلتقي المنسيّ و الناسي(٤٨)

و ايضاً يقول:

يا حبيبي كلّ شئٍ بقضاء ما بايدينا خُلِقْنا تعساء
ربّما تجمعنا اقدارُنا ذات يومٍ بعد ما عزّ اللقاء(٤٩)

فيصل به الامرُ الي التشاؤم فيريٰ انّه لا يقدر عليٰ شئٍ كانّما هو مكبّل لا يستطيع ان يفعلَ شيئاً و يبقي حائراً في امره.

كنت تمثال خيالي فهوي المقادير ارادتْ لا يدي(٥٠)

بل ويري انّ الحظّ ظالمٌ و قاسٍ.

يا جمالاً في الترب يُلقي و يرمي يا لظلم الحظوظ و الحظُّ الاعمي(٥١)

و يري انّه لا ارادة له في ظلّ ظلم الحظوظ.

قدرٌ اراد شقاءنا لا انتَ شئتَ و لا انا
عزّ التلاقي و الحظوظُ السودُ حالَت بيننا(٥٢)

و كذلك قوله:

---

٤٤ - (نفسه: ٣٣)
٤٥ - (نفسه: ٨٤)
٤٦ - (نفسه: ١٠١)
٤٧ - (نفسه: ١١٤)
٤٨ - (نفسه: ١٨)
٤٩ - (نفسه: ١٤٠)
٥٠ - (نفسه: ١٤٣)
٥١ - (نفسه: ١٦٧)
٥٢ - (نفسه: ٢١٠)

http://abu.edu.iq

فلمّا قضي الحظُّ فكَّ الاسيـ ر حـنّ الي اسـرِهِ مطلقا[٥٣]

٣ـ العفّة و الابتعاد عن الحسيّة

القارئُ و السامع و المتصفّح لديوانَي شاعَرَينا يجد انّهما لا يذهبان شوطاً قصيرافي غزلهما و البثّ عن حبّهما المملوؤ بالحبّ و الفراق و الشكوي الّا و يتكلّمان عن الطهر و العفّة في حبّهما و غزلهما. و هذه هي اظهر الميزات المشتركة في شعر كلّ منهما ممّا يدلُّ علي تَاثير شعر الشريف الرضيّ علي الدكتور ابراهيم ناجي.

العفّة و الابتعاد عن الحسيّة واضحان في شعر الشريف الرضيّ و ذلك لسببين، الاول منهما انّه كان طيّب الذاتِ شريفها و الثاني لانّه كان يتولّي امارة الحج. **(عمران، ٢٠٠٠: ٢٢٤)**

فهو يصرّ علي تاكيد العفة في غزله مرّة بعد مرّة كقوله:

قدرت منها بلا رقيبٍ و لا حـذرٍ علي الّذي نام عن ليلي و لم انـم
بتنا ضجيعين في ثوبي هوي و تقيً يلفّنا الشوق مـن فرعٍ الـي قـدم
و امستِ الرّيح كالغيري تجاذبنا علي الكثيب فضولَ الريط و اللّمم
يشي بنا الطيّ احيانـاً، و آونـة يضيئنا البرقُ مجتازاً علـي اضـم[٥٤]

فنري بوضوحٍ في هذه الابيات، اصرار الرضيّ علي تاكيد العفّة فلايقبل حبّاً بلا عفّة و غزله عراكٌ دائمٌ بين عقله و قلبه. عقل يدعو الي العفة و قلب يدعو الي الحبّ و مغامراته.

يشكو الحبيبُ اليّ شدّة شوقه و انـا المشـوق و ما يبين جناحي
و اذا هممتُ بمن احبّ امالني حصرٌ يعوق و عفّة تـنهـاني
لله ما اغضت عليه جوانـحي و الشوق تحت حجاب قلبي عاني[٥٥]

و هو يري العفة في ان تريد النفسُ العصيانَ و تخالفها انت.

ما عفة الانسان الّا غباوة اذا لم يكافح داء وجدٍ مغالبِ[٥٦]

و هذا التاكيد علي التزام العفّة في حبّه يستمرّ في كلّ قصائده الغزليّة فيعبّر عن عفّته في حبّه باشكالٍ مختلفة، تدلّ علي شدّة التزامه. كهذه الابيات الّتي يقول فيها:

تضاجعني الحسناءُ و السيف دونها ضجيعان لي و السيف ادناهما منّي
اذا دنـتِ الحسناءُ منّي لـحاجـةٍ ابي الابيضِ الماضَي، فابعدها عنّي
وان نام لي في الجفنِ انسان ناظرٍ تيقّظَ عنّي ناظرٌ لـي فـي الجفنِ[٥٧]

و الشريف الرضيّ الي جانب ادبهِ الرفيع كان بالفعل الرجل العفيفَ فانّه قد حَرَمَ نفسَهُ اعظمَ لذّة يتغنّي بها المشبّبون، فلم يصف مراتع الانس، ملاعب الطيش، و لم يتحدّث عن اسرار الهوي في الكرخ او بغداد.

---

٥٣ - (نفسه: ٤٩)
٥٤ - (الرضي، ١٤٠٦ج ٢: ٢٣١)
٥٥ - (عابدين، ١٩٩٩: ٢٥٨)
٥٦ - (نفسه: ٢٥٨)
٥٧ - (الرضي، ١٤٠٦ج ٢: ٤١٤)

http://abu.edu.iq

و لم يكن عفافه باباً من عفاف الضعفاء اصحاب الحبّ العذريّ، فالعذريّونَ في حقيقة الامر كانوا مرضي لا يُحسنون صيال الفحول امّا الشريف الرضيّ فكان رجلاً قوياً[٥٨]

و لمّا ابيٰ الاظعان الّا فراقنا ... و للبين وعدٌ ليس فيه كذابُ
رجعتُ و دمعي جازعٌ من تجلّدي ... يرومُ نزولاً للجويٰ فيهابُ
و اثقل محمول علي العين دمعُها ... اذا بانَ احبابٌ و عزّ ايابُ
فمن كان هذا الوجد يعمرُ قلبه ... فقلبي من داء الغرام خرابُ
و من لعبتْ بيضُ الثغور بعقله ... فعندي احرّ الباردين رُضابُ
يعفّ عن الفحشاء ذيلي، كانّما ... عليه نطاقٌ دونها و حجابُ[٥٩]

كذلك الامر في شعر ابراهيم ناجي فالعفّة و الاصرار علي تاكيدها كادتا أنْ تُملِئا ديوانَهُ فهو يتكلّم عن الطهر و العفاف و البراءة في الحبّ و يبتعدُ في غزله عن الحسيّة خلاف الكثير من معاصريه. فيريٰ انّ اسميٰ الحبّ ما كانت فيه عبادةُ الروح مثلاً و هدفاً لا عبادة الجسد الفاني.

غرامُك كان محراب المصلّي ... كانّي قد بلغتُ به السماءَ
خلعتُ الآدمية فيه عنّي ... و لكن ما خلعتُ فيه الاباءَ
فلم اركعْ بساحته رياءً ... و لا كالعبد ذلّاً و انحناءَ
و لكن حبيتك حبّ حرٍّ ... يموتُ متي ارادَ و كيف شاءَ[٦٠]

و في مكان آخر يتكلّم عن المرح القدسيّ و الضحكِ الطّاهر.

لمن هاته الفتنة النادره ... و ما هذه الاعين الساحره
و ما ذلك المرحُ القدسيُّ ... و ما هاته الضحكة الطاهره[٦١]

و كذلك يقول عن العفة:

من رأيٰ العفّة العريـ ... ـقة بالدهر تصطدم[٦٢]

و يريٰ الطهر في الوقوع في نار الحبّ. قد نجد هذا الأمر في شعر الرضيّ ايضاً فالعفة ليست ادعاء فحسب و العفّة هيَ أن تقاوم نفسك في ما تريده من عصيان و تمرّد. كذلك الطهر في شعر ناجي فهو حصيلة المشاق و النار و الجهاد و الصبر عليه.

دفعتِ بي في اللّظي كالخليل ... وعدتِ مباركةً ظافرةْ
رجعتِ من النار ياقوتةً ... مطهّرةً حرّةً باهرةْ[٦٣]

و كذلك قوله:

ما تبدّلنا و لا حال الهويٰ ... و الهويٰ الطاهر و الودّ الكريم[٦٤]

و كذلك يقول:

---

٥٨ - (مبارك، ج ٢: ٩٦- ٩٧)
٥٩ - (الرضي، ١٤٠٦ ج ٢: ١١٦)
٦٠ - (ناجي، ٦٤: ١٩٨٨)
٦١ - (نفسه: ٨٨)
٦٢ - (نفسه: ٩٨)
٦٣ - (نفسه: ٨٩)
٦٤ - (نفسه: ١٢)

http://abu.edu.iq

غـرامُك لي معبدٌ طاهرٌ دعائمُهُ شُيِّدَتْ من ولوعي[٦٥]

و يريٰ البركةَ و الطهر و القدسيّة في الحبّ و المحبوب.

يا هيكلَ الحسنِ المبارك ركنُه الساحر النور الطهور رحـابِ
لا صدقَ الّا في لَهيبك و حدِّهُ و جلاله الباقي علي الاحقـابِ
قدّمتُ قـربانيَ اليـك بقيّةً مِن مهجةٍ ضاعت علي الاحبابِ
و اذبتُ جوهرها فداءَ نواظرٍ قدسيّةٍ، عُلويّة الـمـحـرابِ[٦٦]

و كثيراً ما يستخدم ناجي كلمة«الكعبة» في شعره و يرمز بها الي العفاف و الطهر في حبّه.

هربتُ عالم اضرّا و جئتُ يا كعبتي ازور[٦٧]

و قوله:

جمالك نبراسي و روحك كعبتي و عيناك وحيي في الحياة و الهامي[٦٨]

٤ـ الغزل العاطفيّ الحزين و الغاية في السهولة

القارئ و السامع لشعر الشريف الرضيّ يريٰ انّه يقدّم لنا غزلاً يتّسم بسمة الحزن و الشكويٰ. و مواضيع هذه الشكويٰ، هي شكويٰ الشيب و صدود الغواني عنه و شكوي الزمان قبل ايّ شئ[٦٩]

فهو في قصيدته«يا طائر البان» يري الطائر محزوناً و قد هيج نوحُهُ فالشاعر يريٰ نفسَهُ العانيَ اي الاسير، و الطائر هو الطليق فيتمنّيٰ لو يستطيع الطائر ان يبلغ من هام الفؤاد به عن ما هو عليه.

يا طائرَ البـانِ غـريداً علـيٰ فنـنٍ مـا هـاجَ نوحُكَ لـي يا طـائرَ البـان
هل انـت مبلغُ مـن هـام الفؤادُ بـه انّ الطليقَ يـؤدّي حاجة العَـانـي
مغفّلٌ عــن هــمومي فـي بلهثية ارعيٰ النجوم، و طـرفاه قـريران
ينأيٰ و يدنو عليٰ خضراء مـورقـة لـعب النعاميٰ بـاوراق و اغـصان
هيهات ما انت من وجدي و مِن طربي و لا لقلبك اشـجاني و احـزانـي
و لا فُجِعتُ و قـد سـارت ركائبُهم يـوم الـغميم بعـزلان كـغـزلان
لـو لا تـذكّر ايامي بذي سلـمٍ و عـند رامـة اوطاري و اوطانـي
لـمّا قدحتُ بنار الوجد فـي كَبدي و لا بللتُ بماء الـدمع اجـفاني[٧٠]

نريٰ هنا، ادبَ فراق و بكاء و كما نري في كثيرٍ من غزلهِ، فهو غزلٌ حزينٌ مُلأ بالانين الّذي يثيره تذكّرُ الايام الخوالي و تذكّرِ كيف سارت ركائبُ من يهوي كما يتكلّم عن منطق الغفران في الحبّ و هذا الامر يتجلّي ايضاً بغزل الدكتور ابراهيم ناجي حيث يقول:

الي محا اليك ذنبي و كفّرا هبني اسأت الم يحن ان تغفرا[٧١]

امّا الشريف الرضيّ فيقول:

---

٦٥ - (نفسه: ٢٩٧)
٦٦ - (نفسه: ٥١)
٦٧ - (نفسه: ٣٩)
٦٨ - (نفسه: ٥٥)
٦٩ - (عمران، ٢٠٠٠ ص ٢٢٤)
٧٠ - (الرضي، ١٤٠٦ج٢: ٤٠٥)
٧١ - (ناجي، ١٩٨٨: ١٦٠)

http://abu.edu.iq

يا قلبُ ليتك حين لم تـدعِ الهوي علّقتَ من يهواك مثل هـواكـا .....
لا بل شجيتَ بـمـن يبيت مسلّـمـا خـالي الضّلوع، و لا يحسّ شجاكا
اهوي و ذلّاً في الهوى و طمـاعـةً ابـداً، تـعـالـي اللهُ مـا اشقاكـا .....
يا قلبِ كيف علقتَ فـي اشراكهـم و لـقد عهدتُك تُفلتُ الاشراكـا[٧٢]

الشجي و حرّ الوجد و الذّلّ في الهوي و الوقوع في الاشراك و غيرها قد تدلّ علي الحزن و الشكوي في غزله دلالة واضحة. كذلك استخدامه الكثير لكلماتٍ ك«الليل و الدجي و الظلام و ظلم الدهر» قد تدلّ علي حزن عاطفة الحبّ و الغزل عنده. و كذلك قوله:

ان ذبتُ من كمدٍ، فقد جرّ الهوي هذا السقام عليّ، مـن جـرّاكا
لا تشكونّ اليّ وجداً بعـدهـا هذا الذي جرّت عليّ يـداكا
لاعـاقبنّـك بالغليلِ، فـانّني لولاك لم اذق الهوي لـولاكا
يـا عـاذلَ المشتاق دعهُ، فانّه يطوي علي الزفراتِ غَير حشاكا

و كذلك قوله:

ان نال منكم وصالاً زاده سقماً كانّ كـلَّ دواء عنده داءُ[٧٣]

فهوحزين ان كان المحبوب حاضراً او غائباً.

دعوا لي اطباء العـراق لـينظروا سقامي، و ما يغني الاطباءُ في الحبِّ
اشاروا بريح المندل اللّدن و الشّذا و ردّ ذماء النفسِ بالباردِ العـذبِ
يطيلونّ جسّ النابـضين ضلالةً ولو علموا جسّوا النوابضَ من قلبي[٧٤]

و يحنّ دائماً الي لقاء المحبوب و هو يسأل عن عودة المحبوب كلّ حينٍ و اذا ذكر ما مضيٰ يغيض صبره و يبوح صمته و دموعه تستعدّ للصبّ و هذا سرّ تشكّيه من الماضي.

أحنّ اليٰ لقائك كلّ يومٍ و اسألُ عـن ايابك كلّ وقتِ
و اذكر ما مضيٰ فيغيض صبري و تنفر عبرتي و يبوح صمتي
و لـي قلبٌ اذا ذكـر التّلاقي تظلّم مـن يـد البين المشتّ[٧٥]

و كذلك قوله اثر فراق ظعائن المحبوب.

كـان زوراً بعد بينهم و غـروراً ذلك الـجلدُ
و متيٰ تدنُ الديارُ بهم يجدوا قلبي كما عَهدوا[٧٦]

و يتجرّع مرارة الحبّ و المحبوب في قلبه و هو شغله الشاغل.

ساصبر انّ الصبر مرٌ صـدوره الا ربّما لذّت لقلبي عـواقبُـهْ
و لا بدّ انْ نعطي علي البعدِ دولةً فنأمن يبناً او رقيـباً نـراقبُـه
فلا قلبَ لي الّا وانت حـجابُه و لا سرّ لي الّا و ذكرك حاجبُهْ[٧٧]

---

٧٢ - (الرضي، ١٤٠٦ ج٢: ٩٤)
٧٣ - (نفسه، ج٢: ٧١)
٧٤ - (نفسه، ج ١: ٢٧٢)
٧٥ - (نفسه، ج ١: ٢٨٧)
٧٦ - (نفسه: ٤٣١)
٧٧ - (نفسه: ٢٥٣)

http://abu.edu.iq

فالبكاء علي الحبيب و الشوق و الزفير ممّا اشترك فيه غزل كلٍ من شاعَرَيْنا. فالشريف الرضي مثلاً في هذه المقطوعة ألّتي نأتي بها بعد هذه الكلمات، نراه يبكي منذ بَعُدَ الحبيبُ و يعجب كيف بقي سالماً بعد فراقه و يقول أنّ كبده ستذوب لا محالة، إن لم تكن قد ذابت غداة الفراق.

و كذلك قوله:

الدمعُ مُذ بعد الخليطُ قريبُ — و الشوق يدعوا و الزفيرُ يُجيبُ
ما كنتُ اعلم انّ يوم فراقكم — تبقيٰ عليّ نواظرٌ و قلوبُ
إن لم تكن كبدي غداة وداعكم — ذابت، فاعلم انّها ستذوبُ
داءٌ طلبتُ له الاساة فلم يكن — الّا التعلّل بالدموع طبيبُ
امّا اقمتُ، فانّ دمعي غالبٌ — لعواذلي، و تجلّدي مغلوبُ[٧٨]

كذلك ادب ابراهيم ناجي ادب بكاء و حزن في فراق الحبيب و ناجي يحنّ و يئنّ و يتذكّر الماضي و ذكريات المحبوب و يسير في عالم خياله في اكثر احيانه.

يا غلّة المتلهّف الصادي — يا آيتي و قصيدتي الكبري
ماذا تركتُ لديّ من زادِ — الّا استعادة هذه الذكري[٧٩]

و هو في حبّه يعُدّ الالم عنصراً اساسياً بل و هو الذي يكفّر ذنوب العاشق في حقّ المعشوق.

المي محا ذنبي اليك و كفّرا — هبني أسأتُ الم يحن ان تغفرا
روحي ممزّقةٌ و انت تركتها — لمخالب الدنيا و انيابِ الوري
روحي ممزّقةٌ و لو ادركتها — جمّعتَ من اشلائها ما بُعثِرا[٨٠]

و كذلك نري الحزن في هذه الابيات ايضاً

يا حبيبي غيمةٌ في خاطري — و جفوني علي الافق سحابهْ
صرخ القفرُ لها منتحباً — و بكي مستعطفاً ممّا اصابَهْ
كثُر الهجرُ عليٰ القلب فهل — من سلوٍ او بعادٍ يرتضيه
كيف جانبتُك ابغي سلوةً — ثمّ ناجيتك في كلّ شبيهِ[٨١]

فناجي في هذه النماذج يتكلّم عن لهفة روحه حيث هجر الحبيب و لم يُبق له الّا استعادة ذكريات الوصال و يبغي ناجي بكلّ هذا الألم و العذاب، غفران الحبيب لذنوبه. فقد تركه لمخالب الدنيا و قد صار جسدُهُ اشلاءً مبعثرة. و الحبيب غيمةٌ في خاطره و جفونه سحابة تندي كآبةً و حزناً. و هذا من ابرز ميزات غزل ناجي حيث يستعطف و يسترقّ كلّ من يسمعه و يقرأ له. من افضل ما صوّر ناجي في غزله من رقّة قصيدته ذكرنا منها« كثر الهجر عليٰ القلب فهل» حيث يصوّر لنا هجر الحبيب عنه و حاله بعد الفراق ثمّ يصوّر لنا المحبوب و جماله« انت فجر من جمال و صبا» ثمّ يذكر حالَهُ كيف يناجيه في كلّ شبيه« كيف ناجيتك ابغي سلوة ثمّ ناجيتك في كلّ شبيه» و يصوّر نفسه بكثرة الجروح بقوله:

آه يا هندُ جراحي كثُرتْ — فتعالَي ضمّدي انتِ جروحي[٨٢]

---

٧٨ - (نفسه: ٢٥٢)
٧٩ - (نفسه: ٢٥٢)
٨٠ - (نفسه: ١٦٠)
٨١ - (نفسه: ٢١٩)
٨٢ - (نفسه: ٢٤٢)

http://abu.edu.iq

فيغلب عليَ عاطفة ناجي ان تبدو ندِيّة بآثار الدموع واليأس و الظلام يغمر كلّ وجوده و يشكو قسوة الليل أكثر ما يشكو.

في مظلمٍ متعرّجٍ كـابٍ — والليلُ تغزوني جحافلُهُ
دقّت يد النّعميَ عليَ بابي — و العيش خابي النجم آفلُهُ
يا للمقادير الجسامِ و لـي — من ظلمها صرخاتِ مجنون
باكي الفؤاد مشرّد الأملِ — وقف الزمان و بابُهُ دوني(٨٣)

فشعره غناء كلّهُ المٌ و ارتياب وهمّ و غناءُ عاشقٍ يخفق دائماً في حبّه و لا يجدُ في نفسه و لا في يده الّا الذكري الممضّة المحرقة (ضيف: ١٥٧)

و لن يطفئَ نار هذا الوجد و الحنين الّا الوصال.

مزّقتِ ظلمة كلّ ديجورِ — و النتِ ما قد كانَ منه عصي
و فتحتِ مصراعيهِ للنّورِ — ما كنت الّا ساحراً و عصا(٨٤)

و الحبيب هو سر الوجود و معني الحياة و بوجوده تطيب الايام و يعود الربيع و بغيابه لا لذّةَ للحياة.

اليوم منك عرفتُ سرّ وجودي — و عرفتُ من معناكَ معني العيدِ
ما كنتُ بالفاني و سرّك حافظي — و بمقلتيكِ ضمنتُ كلّ خلودي
الآن اعرفُ ما الحياة وطيبها — و اقول للايّامِ طبتِ فعودي(٨٥)

النتيجة:

نستنتج من كل ما جاء في هذه الدراسة ان اعجاب ناجي بشعرالشريف الرضي و مداومته علي قراءة شعره و حفظه عن ظهر قلب كان له الدور الابرز في ازدهارعواطفه الشعريّة و تحديد اتجاهاته الادبيّة فظهرت ابرز ميزات شعره هما في ابرز قصائده و اشعاره صدقاً فنياً و جمالاً ادبياً. و لا يعني هذا انه كان يقلده في شعره بل علي العكس كانت له شخصيته الادبيّة المستقلة و القويّة. لكنه انعجن شعرالرضي بضميره الادبي الصافي النبع و من ثمَّ افرغهُ مع ما كانت تفرغ روحه الشاعرة من احاسيس جميلة و صادقة و مع ادبه الرومانسي الراقي. و هذا لا يتنافي مع الصدق في عواطفه الشعرية بل ينسجم تماماً اذ أنَّ اثر المطالعات الادبيّة كبير في تكوين شخصية الاديب و الشاعر فلا احد يستطيع ان يكون شاعراً و اديباً دون ان يقرأ آثار الادباء و الشعراء.

و الامر الاخر الذي قد يكون مؤثراً في قراءة شاعر او اديب لادب شاعر او اديب آخر و التأثر به هو اشتراكه في الصفات الروحيّة و الشخصيّة. و هذا ما يصدق علي ابراهيم ناجي في تأثّره بالشريف الرضي اذ اتصفت شخصيته بالحنان و العاطفة و هي الي حدٍ ما شخصيةٌ حزينه و قد يكون لفشله في حبه الاول دوراً بارزاً في ازدياد حزنه. فكان كل شئ مهيّئاً لان يتأثر بالجانب العاطفي الحزين و المتشائم من شعر الرضي و بتبع هذا يتأثر بجانب العفة و الابتعاد عن الحسيّة في غزله لانهما تلازمان الحب الصادق.

---

٨٣ - (نفسه: ٢٤٣)
٨٤ - (ناجي، ١٩٨٨: ٢٤٤)
٨٥ - (نفسه: ٢٧٧)

http://abu.edu.iq

المصادر

- القران الكريم
١- الخفاجي، محمد عبد المنعم، (١٩٩٢) « دراسات في الادب العربي الحديث و مدارسه » المجلد الثاني، ط ١، بيروت، دار الجيل،
٢- السيد جاسم، عزيز، « الإغتراب في حياة و شعر الشريف الرضي »، دارالاندلس، ، دون تاريخ
٣ - الرضي، الشريف، (١٩٩٩)، « ديوان الشريف الرضي »، بيروت، دار القلم،
٤- رضوان، محمد، (٢٠٠٤) « ابراهيم ناجي شاعر الاطلال »، الطبعة الاولي، دمشق- القاهرة، دار الكتاب العربي،
٥- شكيب انصاري، محمود، (١٣٨٤) « تطور الادب العربي المعاصر »، الطبعة الرابعة، ايران، اهواز، جامعة شهيد تشمران،
٦- ضيف، شوقي، «الأدب العربي المعاصر في مصر »، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ
٧- عابدين، نزار، (١٩٩٩) « الغزل في الادب العربي ملامح و شعراء »، الطبعة الاولي، دمشق، الاهإلي،
٨- عمران، عبد اللطيف، (٢٠٠٠)، « شعر الشريف الرضي و منطلقاته الفكرية »، الطبعة الاولي، دمشق، دارالينابيع،
٩- مبارك، زكي، « عبقرية الشريف الرضي »، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ
١٠- محمد محمد عويضة، كامل، (١٩٩٣)، «ابراهيم ناجي شاعر الاطلال »، الطبعة الاولي، بيروت، دار الكتب العلمية،
١١- ناجي، ابراهيم، (١٩٨٨)، « ديوان ابراهيم ناجي » بيروت، دارالعودة،

http://abu.edu.iq